مجلة الرائد

العدد : ٢٤٧ الموافق في ذو القعدة ١٤٢٤ هجري ٢٠٠٤/١ ميلادي

عنوان المقال : أحمد صدقي الدجاني العامل لوحدة المسلمين – كما عرفته	الكاتب : الأستاذ زهير الشاويش

ما أظنه انتقل من دنياه ، وقابل ملك الموت ، إلا وهو يبتسم كما عهدناه دائماً . فما كان يقابل أحداً إلا ويلقاه بخطابٍ فيه التأثر بلغة القرآن الفصحى ، مرحباً بقلبٍ منفتح ، وبشاشة ظاهرة .

جاء من فلسطين طفلاً ، وهو وريث إحدى عوائلها الكبرى ، التي لها منـــزلة رفيعة . وكان بمفرده مطلع شبابه لا نظير له .

يتكلم بلغةٍ أدبيةٍ عالية ، واندفاعٍ في العمل الإسلامي العام ، واحداً من القادة على صغر ، وانتظام في مواعيده ، وكان في الدراسة الأول فيها ، أو من أوائلها . وفي التلقي للعلوم الشرعية على المشايخ من أهل الوعي ، وكان –رحمه اللّه – سليم المعتقد سلفي المنهج ، يتبع الدليل في تعبده ، مع البعد عن التنطع والشطط ، وما عرفنا عنه الغلو المنفِّر ، ولا العصبية المفرِّقة ، بل كان يتسع للجميع ، ويدعو إلى اللّه على بصيرة .

وجاءت عائلته من فلسطين إلى اللاذقية . وهناك تلقاه أهلها – على اختلافهم بقبول حسن – ، وكنت أزور اللاذقية حوالي سنة ١٩٥٤ ، وقابلته هناك ، ولفت نظري أدبه الجمّ ، وكلامه الذي لا يكاد يسمع ، وكان ضمن مجموعة في لقاءات لا يزيد وقتها عن ساعة ونصف الساعة ، ولم يكن رئيسها ، غير أنه كان يلخص ما دار فيها قبل انتهاء اللقاء ، ليكون الموضوع مركزاً عند كل أخوانه .

ثم انتقل إلى دمشق ملتحقاً بالجامعة ، ورأيته فيها بعد ذلك يرأس المجموعة الفلسطينية ، وبقي اللولب فيها ، والمحرك لنشاطها ، وإعدادها للجهاد ، لأن العودة إلى فلسطين لا تكون إلا بالجهاد .

ورأيته في لقاء مع أستاذنا الشيخ مصطفى السباعي ، الذي يتكلم بما هو معروف عنه من فصاحة ودقّة ، وما أن انتهى حتى قام الأخ أحمد الدجاني وعلّق ملخصاً ما فهمه من الأستاذ ، ومستنتجاً من كلامه كل ما يلزم السامع من المعاني والعبر .

ووجدت الشيخ السباعي يعلق على ملخصه بأنه " هذا زبدة الكلام " .

وبعد ذلك كنت وإياه في لقاءات طويلة مع الأستاذ عصام العطار . ووجدته وكأنه صورة عنه تظهر بالمرآة . وفي تلك الاجتماعات كان يكمل الواحد منهما الآخر .

وبعد عودتي من الخليج زارني أحد الأمراء من حكّامها ، والتقى عندي بمجموعة ، وتكلم الدجاني ، فرأيت من (الشيخ) حسن الاستماع للدجاني بكلّيته ، وكان الحديث عن الخليج ، وأثر الأنكليز فيه ، وربط ما بين الكويت حتى مسقط ، مروراً بما كان من تاريخ البرتغال ، وواقع المعارك داخل الجزيرة حتى وصل الأمر إلى هدم الدرعية .

فما كان من الشيخ الحاكم المشدوه بحديثه ، وكاد أن يضيع عليه طعامه (أو طعامنا) ، ودعاه لزيارتهم ، لأنهم بحاجة إليه ، ويومها لم يكن الدجاني (دكتوراً بعد) .

ولا أذكر كيف ومتى انتقل إلى ليبيا ، غير أنني فوجئت بالرسائل من طرابلس ، أو بنغازي ، أو مضارب الصحراء ، ومعها التواصي بأمور تنفع الشباب هناك ، وأكثرها من كتب الدعوة ، وليس فيها أي أمر واحد يخصّه . ثم أقام في مصر فترة من الزمن ، وكان فيها منظور العمل ، مشهور الجهد .

ودار الزمن دورته ، وتفرقت بنا الدنيا ، وكنّا نلتقي في بعض البلاد ، إلى أن تكرم وزارني في بيروت (وقد أصبح دكتوراً ، بل وزعيماً في كل الحركات التي تحاول النهوض بالأمة من مختلف الجوانب) ، وبقي على تواضعه ، كما كان أيام اللقاءات الأولى .

وكنت أجد فيه العالم الواسع المعرفة ، والنشيط الدائم الحركة .

وفي سنوات الحرب اللبنانية الأليمة التي اختلط فيها الحابل بالنابل ، جرى خطف ابن أخي الأستاذ سعيد العبَّار ، وقيل أن الخاطفين بعض تلك المجموعات اشتبهت به فلونه أشقر .. إلخ ، فذهبت والأستاذ سعيد إلى داره ، فقال أرجوكم البقاء في بيتي ، وذهب ورجع وأخبرنا بأن الشاب موجود عند قوم لم يفهموا أين تصل أعمالهم .

وذهب معنا إلى جهة ما ، وطلب أن يحضر الشاب ، أو ينـــزل ليكون محله موقوفاً ، وفعلاً أفرج عن الشاب ، ورجع معنا .

ولو وجد عندنا أكثر من أبي الطيب أحمد صدقي ورأيه العلمي لوفرنا العدد الكبير من ضحايا تلك الحروب القذرة ، بل أقول لما قامت تلك المشاكل والحروب في عدد من بلادنا العربية وغيرها .

ثم كانت له الحركة المباركة ، حيث جمع التيارين الواسعين في المنطقة (الإسلاميون – والقوميون) وأضاف إليهم (الوطنيون) من المشرقين والمغربين ، في لقاء كبير هو " المؤتمر القومي الإسلامي " الذي ضمّ الجميع سنة ١٩٩٤ ، وتولى – رحمه اللّه – مركز المنسق العام له (الرئيس) ثلاثة أعوام .

وسار بالمؤتمر باعتدال ودقة ، حتى كان كل فريق يرى أن الدجاني منه ومعه ، وجمع هذه الآراء المختلفة أصلاً منذ مائة سنة ، وهذا ليس من الأمور السهلة .

ولا أنكر فضل مساعديه الأكارم ، مثل الدكتور محمد سليم العوا ، والذين قاموا بأمور هذا المؤتمر ، ومنهم الإمام محمد مهدي شمس الدين ، والعلامة يوسف القرضاوي ، والشيخ فيصل المولوي ، والأستاذ معن بشور ، والباقين غيرهم .

ولذلك لم نجد في أيامه – ولا حتى الآن – أي اخلاف بين فردين في المؤتمر ، ولا بين فريقين .

وتولى رئاسة المجلس الأعلى للثقافة والتربية والعلوم في منظمة التحرير الفلسطينية لمدة ٢٠ سنة .

وكنت مع أولادي وأهلي من المعجبين بما يكتب سواء في مقالاته ، أو ما ألف من كتب ، لأن لكل مقال له فيه طعمٌ خاص ، ويحل مشكلة تدور في بعض الأوساط ، مع إيجاد الحلول المناسبة لها .

وكان يرحمه اللّه لا ينظر في أي كتاب يطبعه المكتب الإسلامي إلا ويثني عليه ، بما يستأهل (أو لا يستأهل) ولكنه بلطف منه ينمّ عن روحٍ طيبةٍ مستحبة . يقدم ما عنده من اقتراحات حوله ، ولو قدم من غيره لكان نقداً جارحاً .

وأخيراً شاهد كتابي " المقدمات " بأجزائه الثلاثة ، فسأل وهل تقف عند هذا الجزء الثالث ؟ .

فقلت : لا ، فأنا مع كلام إمامنا أحمد بن حنبل : " مع المحابر إلى المقابر " .

وما دام المكتب يطبع وأنا أكتب مقدمات ، فسيكون قريباً له الجزء الرابع! .

فقال : " إذن اجعل لي فخر كتابة مقدمة للمقدمات " ، فشكرته .

قلت : " إذن ستكون مثل مقدمة ابن خلدون التي ضاع تاريخه فيها ، وتضيع مقدماتي بها " .

وقبل شهر اتصل بي أخي الدكتور هيثم الخياط ، وقال : (التقيت مع الأخ صدقي وهو يكتب مقدمة لكتابك " المقدمات ") .

وقد بعث لابني علي برسالة فيها عن مشاهدته افتتاح المكتب الإسلامي ، وأنه أصيب بعارض صحي ، وأنه سيسافر مع أهله لزيارة ابنه في الإمارات .

وكان الموعد أن يحضر إلى بيروت – بعد ذلك – ولكن لم يحضر .

واليوم جائني خبر وفاته ، في القاهرة عن سبعٍ وستين عاماً ، فلا أملك إلا أن أقول ما قاله سيدنا محمد ﷺ : « **لِلَّهِ مَا**

أَخَذَ ، وَلِلَّهِ مَا أَعْطَى ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ وَأَجْرٍ » .

وإننا يا أبا الطيب نحتسب الأجر فيك عند اللّه سبحانه ، ونسأله تعالى أن يعوض علينا ، وعلى أهلك وأولادك والأمة من فقدك الخير ، ولا حول ولا قوة إلا باللّه العلي العظيم